وليد ابو بكر

الحزن المركب

حين يجيء موسم البكاء، لا يجيء مرتين
ترتبط الاشياء فيه ، كلها ،
تكون كلا واحدا
يدركه الانسان ..
ثم لا يدركه الانسان
يظل فيه الوعي غائبا ، مشتتا
يضيع في الزمان ، في المكان
يضيع في الاشياء ..
يضيع حتى عن مدى الزمان والاشياء
لان موسم الاحزان عامر ، ومخصب
يفيض مرة ، يفيض الف مرة ..
يغلف الاشياء بالدموع ، بالعويل ، بالبكاء ساعة على الذي يموت .. بالبكاء ساعتين : على الذي يكون عندما يكون هاربا من المكان .. هاربا من ارضه ، من بيته ، من امه التي بكته قبل ان يبكيها . وودعته دون ان يكون قادرا على الوداع .
حين تكون الارض امنا
حين تكون الام ارضنا
ترتبط الاشياء بالاشياء مرتين :
فمرة نبكي على صدر يفوت عمره كما تفوت لحظة الفرح ومره نبكي على ارض كأنها الدموع حتى تقفر العيون. وتحلم القلوب !
في الليل ، في النهار ، في الشتاء والربيع ..
في الفصول ..
حتى خارج الفصول تحلم القلوب :
فهل نكون عند امنا غدا ..
وهل نكون عند ارضنا غدا
وتحلم القلوب ، تحلم القلوب :
هل نكون نحن ـ كالسؤال ـ هل نكون ؟

***

من نحن ؟.
نحن الظل ـ ظل الحزن ، ظل الموت والهروب ؟
هل نحن نعرف الاشياء مثلما من حقها ان تعرف الاشياء ..
مثلما يكون شيئا من بقائنا ان نعرف الاشياء ؟
هل نعرف الشمس التي تربطنا بأرضنا ، بأمنا ، بكل ما في الوطن المهيض من انباء ؟
هل نعرف الموت كما يموته الانسان فوق ارضه ، بحضن امه ..
ام نعرف الموت الذي يموته الانسان عندما يموت هاربا ، مشردا ،
وكيف تثقل الاشياء حينما يهل وجه الموت واثقا .. لانه قدر ؟
هل نعرف الموت ـ حقيقة ـ كما يعرفه في ارضنا النبات والحجر ؟
هل نعرف الموت مركبا
كما تعرفه ام بكت لانها تريد ان تموت فوق ارضها. تريد ان تموت في مكانها ..
على وسادة العرس التي رأت شبابها ..
ثم بكت لانها تريد ان تموت في ذراع طفلها الذي رعته حتى صار قادرا على البكاء ..
ثم بكت لانها لا تجمع الضدين :
فالموت شيء واحد ..
والارض والابناء ، واحد وواحد .. ولا لقاء
ثم بكت ، ثم بكت لان طفلها الذي رقته حتى صار قادرا على البكاء سوف يبكي وحده
فالارض قبل الطفل ..
قبل كل ما في الكون من بقاء .

***

شوق الحزين للدموع حين تجمد الدموع كان شوقها الى التراب ..
كوحشة الوحيد للامان ، للذراع ..
لكل ما احبه ..
لكل ما قد غاب عنه ان يحبه
لكل ما يريد ان يحبه ..
كوحشة الارض الى السحاب

***

اتحدي بالارض ـ مثلما احببت ـ يا اماه ..
كونا ـ كما اردت ـ شيئا واحدا ..
كونا حبيبا واحدا
كونا ـ كما اردت ـ شيئا واحدا تحسده الاشياء
حتى نحب امنا
حتى نحب ارضنا
حتى نحب امنا بارضنا
حتى نحب ارضنا بأمنا
حتى نكون كالرجال اوفياء

الكويت